(سورة الحاقة)

{ ٱلْحَاقَّةُ } { مَا ٱلْحَآقَّةُ } { وَمَآ أَدْرَاكَ مَا ٱلْحَاقَّةُ }

{ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِٱلْقَارِعَةِ } { فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ }

{ وَأَمَا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ }

{ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ } { فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ }

{ الحاقة } هي الساعة الواجبة الوقوع التي لا ريب فيها إن أريد بها القيامة الصغرى او التي تحقُّ فيها الأمور، أي: تعرف، وتحقق إن أريد بها الكبرى. والمعنى: أنّ الساعة ما هي وما أعلمك أي شيء هي، أي: لا يعرف شدّتها وهولها وما يظهر فيها من الأحوال على المعنى الأول، أو لا يعرف حقيقتها وارتفاع شأنها وإنارة برهانها وما يبدو فيها أحد إلا الله. وكلتا القيامتين تقرع الناس وتهلكهم وتفنيهم وتستأصلهم بالشدة والقهر، وأما تكذيبهم بالأولى فلإقبالهم من الدنيا وترك العمل لها وغفلتهم وغرورهم بالحياة الحسية. وأما بالثانية فلعدم وقوفهم عليها وإنكارهم لها واحجابهم عنها، وقد يطابق مثل المكذبين بمثل المفرطين أي: المقصرين والغالين بأن يقال: { فأمّا ثمود } وهم أهل الماء القليل أي: أهل العلم الظاهر المحجوبون عن العلوم الحقيقية

{ فأهلكوا بالطاغية } أي: الحالة الكاشفة عن الباطن وعالم التجرد التي تطغى على علومهم فتفنيها وهي خراب البدن.

{ وأمّا عاد } الغالون المجاوزون حدّ الشرائع بالتزندق والإباحة في التوحيد

{ فأهلكوا بريح } هوى النفس البادرة بجمود الطبيعة وعدم حرارة الشوق والعشق العاتية أي: الشديدة الغالبة عليه الذاهبة بهم في أودية الهلاك.

{ سخّرها } الله { عليهم } في مراتب الغيوب السبعة التي هي لياليهم لاحتجابهم عنها. والصفات الثمانية الظاهرة لهم كالأيام وهي الوجود والحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والتكلم، أي: على ما ظهر منهم وما بطن تقطعهم وتستأصلهم { فترى القوم فيها صرعى } موتى لا حياة حقيقية لهم لأنهم قائمون

بالنفس لا بالله كما قال: { كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ }
[المنافقون، الآية:٤]، { كأنهم أعجاز نخل } أي: أقوياء بحسب الصورة لا معنى فيهم ولا حياة، ساقطون عن درجة الاعتبار والوجود الحقيقي إذ لا يقومون بالله { فهل ترى لهم من باقية } أي: بقاء أو نفس باقية لأنهم فانون من أسرهم.

{ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَٱلْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ }
{ فَعَصَوْاْ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً }
{ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي ٱلْجَارِيَةِ }
{ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَاعِيَةٌ }
{ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ }
{ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً }
{ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ }

{ وجاء فرعون } النفس الأمارة { ومن قبله } من قواها وأعوانها { والمؤتفكات } من القوى الروحانية المنقلبة عن طباعها الميل إلى الظاهر والانقلاب عن المعقول إلى المحسوس { بالخاطئة } بالخصلة التي هي خطأ وهي المجاوزة عن البواطن إلى الظاهر{ فعصوا رسول ربّهم } أي: العقل الهادي إلى الحق { فأخذهم } بالغرق في بحر الهيولى ورجفة اضطراب مزاج البدن وخرابه { أخذة } زائدة في الشدّة.

{ إنّا لما طغى } ماء طوفان الهيولى { حملناكم } في جارية الشريعة المركبة من الكمال العلمي والعملي { لنجعلها لكم تذكرة } لعالم القدس وحضرة الحق التي هي مقرّكم الأصلي ومأواكم الحقيقي { وتعيها أذن واعية } أي: تحفظها أذن حافظة لما سمعت من الله في بدء الفطرة باقية على حالها الفطرية غير ناسية لعهده وتوحيده، وما أودعها من أسراره بسماع اللغو في هذه النشأة وحفظ الباطل من الشيطان والإعراض عن جناب الرحمن، ولهذا لما نزلت قال النبي صلى الله عليه وسلم لعليّ عليه السلام:

« سألت الله أن يجعلها أذنك يا عليّ » ،

إذ هـو الحافظ لتلك الأسرار كما قال:

« ولدت على الفطرة وسبقت إلى الإيمان والهجرة ».

{ فـإذا نُفِـخ في الصـور } هـي النفخـة الأولى التـي للإماتـة في القيامـة الصغـرى إذ يمنـع حملـه عـلى الكـبرى قولـه:

{ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ }[الحاقة، الآية:١٩]

ومـا بعـده مـن التفصيـل وهـذا النفـخ عبـارة عـن تأثـير الـروح القـدسي بتوسـط الـروح الإسرافيـلي الـذي هـو مـوكل بالحيـاة في الصـورة الإنسـانية عنـد المـوت لإزهـاق الـروح فيقبضـه الـروح العزرائيـلي وهـو تأثـير في آن واحـد، فلذلـك وصفهـا بالوحـدة.

{ وحملـت } أرض البـدن وجبـال الأعضـاء { فدكتـا دكّـة واحـدة } وجعلتـا أجـزاء عنصريـة متفرقـة.

{ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ }

{ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَآئِهَآ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ }

{ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لاَ تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ }

{ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَـٰبِيَهْ }

{ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ }

{ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ }

{ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ } { قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ }

{ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيئَاً بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ }

{ وانشـقت } سـماء النفس الحيوانية وانقشـعت لزهوق الروح بانفلاقها عنه

{ فهـي يومئـذ واهيـة } لا تقـدر عـلى الفعـل ولا تقـوى عـلى التحريـك والإدراك حالـة المـوت{ والملـك } أي: القـوى التـي تمدّهـا وتـأوي إليهـا وتعتمـد عليهـا في الإدراك وتجتمـع مدركاتهـا عندهـا أو تـدرك بواسـطتها أو تظهـر بهـا مدركاتهـا

{ عـلى أرجائهـا } أي: جوانبهـا مـن الـروح والقلـب والعقـل والجسـم، فافترقـت عنهـا وتشـعبت إلى جهاتهـا الناشـئة منهـا أولاً { ويحمـل عـرش ربّـك }

أي: القلب الإنساني { فوقهم يومئذ ثمانية } منهم هي الأنوار القاهرة أرباب الأصنام العنصرية من الصور النوعية تحمله بالاجتماع من الطرفين العلوي والسفلي الفاعل والحامل عند البعث والنشور من كل طرف أربعة.

ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام

: « هم اليوم أربعة، فإذا كان يوم القيامة أيدّهم الله بأربعة آخرين فيكونون ثمانية « ،

ولكن تلك الأملاك مختلفة الحقائق بحسب اختلاف أصنافها العنصرية قال بعضهم: إنها مختلفة الصور ولكونها مستولية مستعلية على تلك الأجرام شبّهت بالأوعال، وقيل: هم على صور الأوعال تشبيهاً لأجرامها بالجبال ولكونها شاملة لتلك الأجرام بالغة إلى أقصاها حيث ما بلغت. قال بعضهم:

ثمانية أملاك أرجلهم في تخوم الأرض السابعة والعرش فوق رؤوسهم وهم مطرقون مسبحون والله أعلم بحقائق الأمور.

{ يومئذ تعرضون } على الله بما في أنفسكم من هيئات الأعمال وصورالأفعال

{ لا تخفى منكم خافية فأما من أوتي كتابه } أي: اللوح البدني الذي فيه صور أعماله { بيمينه } أي: جانبه الأقوى الإلهي الذي هو العقل فيفرح به ويحب الاطلاع على أحواله من الهيئات الحسنة وآثار السعادة وهو معنى قوله:

{ هاؤهم اقرؤوا كتابيه * إني ظننت } إني تيقنت { أني ملاق حسابيه } لإيماني بالبعث والنشور والحساب والجزاء { فهو في عيشة راضية } أي: حياة حقيقية أبدية سرمدية { في جنّة } من جنان القلب والروح { عالية قطوفها } من مدركات القلب والروح من المعاني والحقائق { دانية } كلما شاؤوا نالوها.

{ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَبَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ }

{ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ } { يٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ }

{ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ } { هَّلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ }

{ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ } { ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ }

{ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ }

{ إِنَّهُ كَانَ لاَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ } { وَلاَ يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ }

{ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَا هُنَا حَمِيمٌ }

{ وَلاَ طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ }

{ لاَّ يَأْكُلُهُ إِلاَّ ٱلْخَاطِئُونَ } { فَلاَ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ }

{ وَمَا لاَ تُبْصِرُونَ } { إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ }

{ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ }

{ وَلاَ بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ }

{ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَالَمِينَ }

{ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلأَقَاوِيلِ }

{ لأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ } { ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ }

{ فَمَا مِنكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ }

{ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ } { وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُمْ مُّكَذِّبِينَ }

{ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَافِرِينَ }

{ وَإِنَّهُ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ } { فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ }

{ وأما من أوتي كتابه بشماله } أي: جانبه الأضعف النفساني الحيواني، فيتحسر ويتندّم ويتوحش من تلك الصور والهيئات السمجة والقبائح التي نسيها وأحصاها الله ويتنفر منها ويتمنى الموت عندها ويتيقن أن الذي صرف عمره فيه وأكبّ بوجهه عليه من المال والسلطنة والجاه ما كان ينفعه بل يضرّه،

وهـو معنـى قولـه: { يـا ليتنـي لم أوت كتابيـه } إلى آخـره، وينـادى عـلى لسـان العـزة والقهـر الملكـوت المـوكل بعـالم الكـون والفسـاد مـن النفـوس السـماوية والأرضيـة أن { خـذوه فغلـوه } أي: قيـدوه بمـا يناسـب هيئـات نفسـه مـن الصـور واحبسـوه في سـجين الطبيعـة بمـا يمنـع الحـركات عـلى وفـق الإرادة مـن الأجـرام { ثـم } جحيـم الحرمـان ونـيران الآلام { صلـوه ثـم في سلسـلة } الحـوادث الغـير المتناهيـة { فاسـلكوه } ليتعـذب بأنـواع التعذيبـات. والسـبعون في العـرف عبـارة عـن الكـثرة الغـير المحصـورة لا العـدد المعـين { إنـه كان لا يؤمـن باللـه }

أي: كل ذلك بسـبب كفره واحتجابه عن الله وعظمته وشـحه لمحبّة المال

{ فليـس لـه اليـوم هـا هنـا حميـم } لاستيحاشـه عـن نفسـه فكيـف لا يسـتوحش غـيره عنـه وهـو متنفـر عـن كل أحـد حتـى عـن نفسـه؟، { ولا طعـام إلاَّ مـن } غسـالات أهـل النـار وصديدهـم وقـد شـاهدناهم يأكلونهـا عيانـاً.

{ فـلا أقسـم } بالظاهـر والباطـن مـن العـالم الجسـماني والروحـاني، الوجـود كلـه ظاهـراً وباطنـاً { وإنـه لحـقّ اليقـين } أي: محـض اليقـين وهـو الـكلام الـوارد مـن عـين الجمـع، إذ لـو نشـأ مـن مقـام القلـب لـكان علـم اليقـين، ولـو نشـأ مـن مقـام الـروح لـكان عـين اليقـين.

فلـما صـدر مـن مقـام الوحـدة كان حـق اليقـين، أي: يقينـاً حقـاً صرفـاً لا شـوب لـه بالباطـل الـذي هـو غـيره ،نسـب القـول أولاً إلى الرسـول ثـم إلى الحـق ليفيـد التوحيـد الـذاتي، ثـم قـال:{ فسّـبح باسـم ربّـك العظيـم } أي: نـزّه اللـه وجـرّده عـن شـوب الغـير بذاتـك الـذي هـو اسـمه الأعظـم الحـاوي للأسـماء كلهـا لأن لا يظهـر في شـهودك تلويـن مـن النفـس أو القلـب فتحتجـب برؤيـة الاثنينيـة أو الأنائيـة وإلا كنـت مشـبِّهاً لا مسـبِّحاً، واللـه تعـالى أعلـم.